دور زعماء الإصلاح تجاه تحرير المرأة التونسية
في القرن التاسع عشر

د. إيمان محمد علي نونو
دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر
إدارة ضمان الجودة للتعليم
الجيزة — جمهورية مصر العربية
mnnounou@yahoo.com

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
إيمان محمد علي نونو ، دور زعماء الإصلاح تجاه تحرير المرأة التونسية في القرن التاسع عشر.- دورية كان التاريخية.-العدد التاسع ؛ سبتمبر ٢٠١٠. ص٢٩ — ٣٣.
(www.historicalkan.co.nr)

مقدمة

بدأت بعض الأصوات داخل المجتمع العربي الإسلامي تطرح جملة من التساؤلات: كيف يمكن رفع التحديّ؟ كيف السبيل إلى تحقيق التطور دون التنكّر للذات؟ وقد اندرج الجدل حول تحرير المرأة في سياق المساعي الهادفة إلى تحقيق النهضة السياسية والثقافية والدينية لمجمل المجتمع الإسلامي.

وكانت مظاهر الحداثة التي رافقت انتصاب الحماية الفرنسية بالبلاد مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، قد أدخلت البلبلة والحيرة في المجتمع التونسي. وانطلاقاً من وعي النخب التونسية بتأخر هذا المجتمع ، الذي غدا عُرضة للعدوان الاقتصادي والحضاري الذي كانت تمارسه أوروبا المتطلعة إلى التوسع والهيمنة ، بدأت هذه النخب تطرح قضية تحرير المرأة. وشعوراً منها بخطورة الوضع ، أجمعت كل التيارات الفكرية الرائجة آنئذ ، على اعتبار تعليم المرأة شرطاً جوهرياً من شروط تحرر المجتمع ، على أساس أن المرأة هي مربية الأطفال وبالتالي المجتمع.

كانت المرأة التونسية في فجر الأزمنة الحديثة -على غرار معاصراتها في العالم الإسلامي- تعيش منكفئة على نفسها ، مُستبعَدة من الحياة العامة ، التي كانت حكراً على الرجال ويبدو أن ثقافة متناهية في القدم مدعومة بأحكام عرفية وتقليديّة كبلّتها في مصير لا تحسد عليه ، إلاّ أنّ مكانتها كزوجة وأمّ غالبا ما منحتها احتراماً وتقديراً ولكنها لم تكن في المرأة حسب الوسط الذي كانت تعيش فيه. وكانت المرأة الريفية تعتني بالزراعة وتربية الماشية وتضطر إلى الترحال من أجل الانتجاع رفقة الرجال والأطفال ، لم تكن متحجبة ؛ وكانت تتمتع بحرية التنقل ، إلا أنها كانت تحيى حياة ملؤها التقشف والعناء المستمر.

غير أنه تجدر الملاحظة هنا ، أن الانزواء لم يكن يعني بالضرورة التغييب التام من الحياة العامة حيث سجلت تونس ، في ظل عهد البايات الحسينيين ، بعض الأسماء المنتمية إلى الطبقة الأرستقراطية والتي لعبت أدوارا تجاوزت النطاق العائلي والمباشر وشملت المجتمع برمَّته. ومن بين هذه الوجوه الأميرة عزيزة عثمانة ، التي لا تزال أعمالها الخيريّة راسخة في الذاكرة الجماعية إلى اليوم. وقد أُطلق اسمها ، بداية من سنة ١٩٧٨ ، علي مؤسسة صحية هامة تقع بمدينة تونس العتيقة ، ونعني بذلك "مستشفي عزيزة عثمانة" ، الذي يسود الاعتقاد في الأوساط الشعبية أن تشييده تم بفضل ريع "الأحباس" التي حبستها هذه المرأة الخيرة.

كانت كل التيارات الفكرية قد أجمعت على اعتبار تعليم المرأة مفتاح تحريرها بل تحرير المجتمع برمته ، فقد كان البعض يطرح عددا من التساؤلات طرحا لا يخلو أحيانا من التحمس ومن بين هذه التساؤلات: هل البنات مُطالبَات بالالتحاق بالمدرسة؟ ما هو محتوى تعليم البنت؟ ما هي أهداف التعليم الذي تتلقاه البنت؟

دور زعماء الإصلاح

تمتعت أقطار المغرب العربي بموقع استراتيجي متميز فهي تطل على البحر المتوسط شمالاً والمحيط الأطلنطي غرباً ، وكان لاقترابها من إيطاليا وفرنسا أهمية إستراتيجية خاصة تسمح لها بالتحكم في خطوط الملاحة التي تسير في البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي ، وساعد هذا الموقع على أن تصبح أقطار المغرب العربي محط أنظار الدول الأوربية التي حاولت زيادة نفوذها في البحر المتوسط والتحكم فيه.[1]

واتجهت أنظار الفرنسيين إلى المغرب العربي بعد أن وقفت انجلترا حائلاً دون تحقيق أطماعهم في مصر والشام، وبعد أن فقدوا مستعمراتهم في الهند وكندا، وأصيبت الدولة العثمانية بالضعف والاضمحلال وانشغلت بالدفاع عن كيانها، وضعفت سلطاتها في بلاد المغرب العربي وأصبحت السلطة الحقيقية في أيدي رؤساء رجال البحر والقوات غير النظامية في كل من الجزائر وتونس[2] وأدى الحكم العثماني إلى الضعف الاقتصادي في الزراعة والحرف، حيث ترك الفلاحون أراضيهم هرباً من الضرائب، وكانت القوى المنتجة بعناصرها المختلفة على غاية من التدني والتخلف، وانعكس هذا الواقع الاجتماعي على الحياة الفكرية العربية، وأصبحت مراكز العلم من مدرسة سيدي يوسف في مراكش إلى القرويين في فاس، والزيتونة في تونس، والأزهر في القاهرة وغيرها، تكتفي بأن تحتفظ بجذوة تحت الرماد، لا لهيب لها يحرق، ولا وهج يلفح، واكتفى المشتغلون بالعلم أن يقرؤوا علوم الدين واللغة.[3]

فانطلقت التيارات السلفية لتقوية الخلافة الإسلامية، وعملت كل الاجتهاد في مسائل الدين والدنيا وضرورة أن يعتمد تقدم الأمة على جناحي البرهان والعرفان معاً. ثم انتقلت الدول العربية إلى مرحلة التنوير والتجديد وتزعمها رواد الإصلاح والعلماء على أن يلتزموا بالمرجعية الإسلامية لوضع الحلول الإسلامية لكل حادث وطارئ، وتنقية الدين من البدع والخرافات التي سادت في تلك الفترة[4] وحاول الفكر السلفي الإصلاحي تحقيق النهضة، فبدأ بعقلنة الدين، فاكتشف فيه الملكية الفردية، واحترم الحرية الفردية، وتأكيد حقوق المرأة وتقديس العلم. فانطلق الفكر الإصلاحي في أقطار المغرب العربي من نفس الأسئلة التي حركت الفكر الإصلاحي بالمشرق. لكن ثمة خصوصيات وطنية طبعت الفكر الإصلاحي بالمغرب العربي وجعلته فكراً له مميزاته في طرح إشكالياته وصياغة حلولها الملائمة.

لقد كان الهاجس الأساسي للنخبة المثقفة المغربية هو إصلاح البنيات الإدارية والعسكرية والتعليمية القديمة، ومقاومة التدخل الأجنبي. وكان هدف المثقفين الإصلاحيين محدداً في ثلاثة شروط للرقي والتقدم هي: العلم، والثقة بين السكان، والأخلاق الحميدة.[5]

وقد عرف النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعض المفكرين الإسلاميين الذين رفعوا راية الإصلاح والتجديد، واتسعت حركتهم الثقافية والسياسية وعمت أجزاء كبيرة من البلاد العربية والعالم الإسلامي ككل، ليبدأ عصر التنوير والتجديد. ويعتبر خطاب التحرير في كل المجتمعات العربية وخاصة مصر وأقطار المغرب العربي هو الذي أبرز بدعواته الملحة للتحرر والخلاص وفك القيود، ومنها أصبحت قضية المرأة من أهم المشكلات الاجتماعية التي تعاني منها تلك الدول في هذه المرحلة. ودخل مفهوم "تحرير المرأة" في جميع الدول المستعمرة، والتي عانت طويلاً من الجهل والانحلال والركود، وبدأ رواد الفكر والإصلاح يتناولون موضوع المرأة باستحسان بالغ الأهمية لإبعادها عن التخلف والجهل التي كثيراً ما عانت منه، وساهمت المواقف والكتابات الإصلاحية في بلورة مفاهيم تنويرية تهم الإنسان وخاصة المرأة باعتبارها تمثل المجتمع وعنصر فعال لاستمرار الوجود فيه.

ونادي المثقفون المغاربة بالدعوات الإصلاحية والكتابات النظرية والفكرية مطالبين بإصلاحات قضائية وتربوية وإدارية تستهدف تغيير المجتمع على كل الأصعدة والمستويات، وتنوير المجتمع وتوعيته دينياً وثقافياً وتربوياً وسياسياً عن طريق إصدار الجرائد وبناء المدارس العصرية للبنين والبنات[6]. وتداعت صيحات المصلحين للخروج من النفق المظلم والتطلع إلى بشائر الصباح، وكانت تركيا ومصر وتونس ملتقى تلك الصيحات التي تصارع الفناء والضياع، وتدعو إلى اليقظة وإصلاح التعليم ومقاومة الاستبداد.

خير الدين التونسي

وشعر بعض المصلحين في تونس بالخطر المحدق، وأمنوا بضرورة إصلاح ما فسد من الداخل حتى تتسنى مقاومة الغزو من الخارج. وكان خير الدين باشا التونسي[7] في مقدمة المنتصبين للدفاع عن الهوية التونسية ومقومات الدين الإسلامي، والمنادين بإصلاح المجتمع والتعليم، وإبعاد البلاد عن نيران الاستعمار من جهة، ومقاومة العقليات المتحجرة التي تكرس المفاهيم الخاطئة وتنسبها إلى الدين الإسلامي من جهة أخرى[8]، وترك خير الدين التونسي[9] وكل المثقفين الذين تطبعوا بآرائه أو كانوا دونها أو تجاوزوها إرثاً عن القضايا التي كانت تواجه المجتمع التونسي، إذ راحوا يتحسسون بجرأة ويبحثون عن صياغة مجتمع جديد يواكب التطور، وفق منهج تنويري يولي الاجتهاد وإعمال العقل ويراعي الموروث الحضاري، ويخلص قيم العدل والحرية من الشوائب والمفاهيم الخاطئة بما ينصف المرأة في المجتمع.

ونشر محمد السنوسي[10] رسالة تحت عنوان "تفتق الأكمام عن حقوق المرأة في الإسلام" وهكذا ظهر مصطلح جديد يؤكد على حقوق المرأة التونسية، ويرى بعض المثقفين أن آراء محمد السنوسي في

المرأة جاءت متحررة ومتطورة أكثر من غيره، كما عالج في رسالته خصائص المرأة وحقوقها كما وردت في القرآن والأحاديث وكتب الفقه[11].

ولعل خير من وصف حالة المجتمع التونسي قبل الاحتلال الفرنسي هو أحد أعلام ورواد الفكر فيها الشيخ محمد الفاضل بن عاشور،[12] الذي قرأ تداعيات صدمة الحداثة الغربية في البلاد التونسية، ورفض شيئية المرأة وعدميتها، قناعة منه بأن المرأة هي المربية للأجيال والحافظة لتراث شعبه وبأن المجتمع الذي لا يحترم المرأة إنما يحقر نفسه. وقد امتد نشاط محمد السنوسي إلى خارج تونس لنشر أفكاره الإصلاحية، مدافعاً عن الحضارة الإسلامية، مبرزاً عطاءها في خدمة الإنسانية، وبذل جهوداً مشكورة في الدعوة إلى الإصلاح والتجديد في تونس.[13]

الشيخ عبد العزيز الثعالبي

وطيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر برز قادة ومصلحون ومثقفون أرادوا النهوض بالمجتمع، وخص الشيخ عبد العزيز الثعالبي[14] قضية المرأة في الإسلام في كتابة "روح التحرر في القرآن" بفصل كامل وقد تضمن كثيراً من الأفكار الإصلاحية التي كانت رائجة وقتها، لاسيما منها المتعلقة بتحرير المرأة المسلمة، ومحاربة البدع والتمسك بالكتاب والسنة. ووقف وقفة رائعة فيما يتصل بالحجاب والتعليم والعمل للمرأة، وبرؤية تقدمية تجاه المشاكل والضغوط التي كانت تكبل المجتمعات العربية الإسلامية. وقدمت أفكاره وكتاباته حلولاً للمسألة الاجتماعية الأكثر إلحاحاً في الفكر والتراث العربي الإسلامي وهي قضية المرأة، وشن ثورة حقيقية ضد غلاة التعصب الديني، وحملهم القسط الوافر من المسئولية في عملية انكماش وتوقف الاجتهاد وبروز التعصب الديني والتحجر الفكري.[15]

وانبرت النخبة المثقفة تعبر عن آرائها بالكتابة والخطابة في العديد من المنابر، ويعتبر الشيخ ابن ضياف من أبرز المصلحين الذين دافعوا عن المرأة وحقوقها، فقد كتب كتاباً عن المرأة بعنوان "رسالة في المرأة " رد فيه عما نشر من مغالطات في شأن المرأة والدين، وتولي الدفاع عن المرأة وحقوقها، من خلال كتاباته ومحاضراته ويقول "هن يجهلن الكتابة والقراءة والمعلوم أن الجهل يدفعهن نحو الرذيلة والعلم يبعدهن عنها". كما نادي الشيخ سالم بوحاجب[16] بضرورة تعليم المرأة وتحريرها، ولقيت هذه الإسهامات من شيوخ جامع الزيتونة المعمور بعض التأييد حيناً، والكثير من المعارضة أحياناً أخرى.[17]

إن الجدل كان حاداً في عشرينيات القرن العشرين حول خروج المرأة إلى الحياة العامة أو السفور والحجاب بين أنصار السفور وخاصة من الاشتراكيين الفرنسيين، ورجال الحزب الإصلاحي والنخبة الثقافية في تونس، وأثارت الجدل أكثر السيدة "منوبية الورتاني"[18] المرأة التونسية المسلمة في ذلك الموضوع يوم ١٥ يناير ١٩٢٤ على منبر الجمعية الثقافية "الترقي" التي ينشطها الاشتراكيون وكان عنوان الندوة "مع أو ضد الحركة النسوية" وقد تدخلت السيدة الورتاني مكشوفة الوجه وطالبت بتحرير المرأة من الحجاب وأنهت كلمتها ناقدة المثقفين: "عندما يحقق الأتراك نصرا اجتماعياً تسعدون هنا في تونس وتقيمون الأفراح فمن الأجدر أن تقتدوا بهم في ذلك" ومن هذه الحادثة اندلعت معركة السفور التي تواصلت إلى أواخر عام ١٩٣٠، ثم تجرأت السيدة حبيبة المنشاري[19] التابعة للحزب الاشتراكي الفرنسي في تونس بالحديث سافرة الوجه على منبر جمعية "الترقي" وتحدثت عن حالة الفتاة التونسية التي تدعو إلى الرثاء وتعيش حياه تتناقض مع مقتضيات الحضارة العصرية.[20]

ووصلت أصداء مشاركة هدى شعراوي[21] إلى كثير من الدول العربية وخاصة تونس، وأرسلت لها بشيرة بن مراد[22] تهنئها بالحركة النسائية في مصر وما أنجزته من مشاركات في المؤتمرات الدولية، وما وصلت إليه من جهود في قضية تعليم المرأة والمطالبة بحقوقها.[23]

والجدير بالذكر أن تونس كانت من أوائل الدول التي تنامي فيها الإصلاح بشكل دائم بسبب موقعها الوسطى بين الشرق والغرب، وكذلك بعد أن تم إعلان "عهد الأمان" في أوائل ١٨٥٧ والذي يتضمن حقوق المواطنة والحريات الأساسية وظهر عدد من الإصلاحيين الذين دافعوا عن حقوق المرأة في التعليم والعمل. إلا أن مصر كانت الأسبق في تكوين الجمعيات النسائية وتأسيس الاتحاد النسائي المصري عام ١٩٢٣ بهدف رفع مستوى المرأة الأدبي والاجتماعي لمشاركة الرجل في جميع الحقوق والواجبات.[24]

ويوجد قاسم مشترك بين رواد الإصلاح التونسيين ومنهم خير الدين التونسي وابن ضياف وبين رواد الإصلاح في مصر ومنهم قاسم[25] أمين ورفاعة الطهطاوي[26]، ويظهر جلياً أن قاسم أمين كان تماماً مثل المثقفين التونسيين علي قناعة بأن ما ينادون به لفائدة المرأة كان صعب التحقيق في عصرهم أو في المدى القريب، وأن آرائهم كانت مجرد آمال إلي الأفضل وإنارة الطريق للأجيال اللاحقة لعلها تضيف جزء من الطموحات، وهذا القاسم المشترك يتمثل في وحدة النظرة إلي الجانب المشرق في الحضارة الغربية وفي فرنسا بالخصوص وهي البلد الذي زاره قاسم أمين وغيره وعاينوا نقاط الضعف والتفوق في مجتمعه التونسيين والمصريين.

وبعد صدور كتاب قاسم أمين في مصر "تحرير المرأة" حفلت الصحف التونسية منذ مطلع القرن العشرين بجدل واسع بين مؤيد ومعارض لقضايا المرأة، ونشر المثقفون التونسيون آرائهم في جرائد ومجلات تونسية مثل "الصواب"، "والحاضرة" "والعالم الأدبي"، وبرز من الكتاب التونسيين حول المرأة في ذلك العصر حسين بن الخوجة ورشيد بن مصطفي، وعلي رأس هؤلاء الطاهر الحداد[27] ورفيق دربة في النضال من أجل الحرية أبو القاسم الشابي،[28] وحاول مثقفون وكتاب آخرون أن يكونوا حلقة الوصل بين هذين العلمين الحداد والشابي ويدافعون عن أفكارهم.[29]

الطاهر حداد

ولعل كتاب الطاهر الحداد "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" الصادر سنة ١٩٣٠ كان تتويجاً للجدال الجديد بين المحافظين والمجددين، ويمثل التطور الفكري الإصلاحي في تونس، ووعيه بقضية المرأة، وإن إصلاحها سيؤدي إلي إصلاح كامل للمجتمع.[30] لقد أدرك الحداد أن تقدم المجتمع مرتبط بتقدم المرأة وتحررها من القيود ولذلك دعا إلي تحررها من القيود، ودعا إلي ضرورة تعليمها معبراً "إن نهضة المرأة هي نهضتنا جميعاً". وأثارت أفكار الحداد حفيظة تيار من الفقهاء والمشايخ الذين كانوا يرون مصلحتهم في استمرار البني التقليدية الموروثة واستقرارها، وشن هذا التيار المحافظ الحرب علي الطاهر الحداد وجرده من شهادته العلمية واتهم بالكفر والإلحاد والزندقة، وتم تأليف العديد من الكتب للرد عليه ولعل أبرزها هو كتاب (الحداد علي امرأة الحداد)[31] وكتاب "سيف الحق علي من لا يري الحق" لعمر بري المدني وكتاب "روح الإسلام ونقد أراء الملحدين "لمحمد الشافعي".[32]

وقد اهتم الطاهر الحداد في كتابه بتعليم المرأة وتثقيفها ثقافة شاملة ومتعددة، حتى تكون أماً قادرةً علي أن تربي أبناء صالحين للحياة والوطن، ويضيف منتقداً التربية التي تتلقاها المرأة في عصره، والمبادئ التي كانت تقوم عليها، ومنها تعويدها علي الحياء المفرط الذي يجعل الفتاة قاصرة قصوراً يراه الحداد سبباً عظيماً من أسباب خيبة المرأة وسقوطها ضحية الضعف والفساد، كما يدعو إلي أن تتصل الفتاة بالحياة مباشرا مثل الرجل وألا تكون عالة عليه، فتكون تربيتها سلبية فتقضي حياتها منزوية في البيت جامدة الفكر والحركة. ويشير الحداد إلي أن ما عليه الرجل من تخلف يكمن سببه في وضعية المرأة لذلك ينبغي تبصير الرجل والمرأة بواجباتهما وحقوقهما ليشفي جسم المجتمع العليل، ويبعث فيه الشعور بالعزة والكرامة والمسؤولية.[33]

لقد قسم الحداد كتابه إلي قسمين رئيسيين: القسم الأول سماه التشريعي وتحدث فيها عن المرأة في الشريعة الإسلامية، بينما خصص القسم الثاني لوصف الأوضاع التي كانت تعيشها المرأة التونسية في عصره. لقد أدرك الحداد أن تغيير وضع المرأة والمجتمع يقتضي من بين ما يقتضيه تغيير العقليات حتى ينشأ لديها الاستعداد للعمل علي ذلك التغيير ولقبوله. وهذا ما يدفع في نظره إلي إعادة صياغة رؤية جديدة لما يجب أن يكون عليه وضع المرأة ليكون أكثر وفاء للقيم الإسلامية الثابتة وانسجاما مع مقاصد الشريعة.

لقد ناضل الحداد علي أكثر من جبهة، وذلك لأنه الأديب والشاعر والنقابي والسياسي ورجل الإصلاح، وأهم من كل ذلك فهو نصير المرأة وسندها، كما أنه العدو اللدود والأكبر للرجعية التي تحذق وقاية نفسها بالأطروحات الدينية، بما يجعلها دائماً في منأى عن أي انتقاد لآرائها وتصرفاتها، وذلك لأن الحوار حول المقدس ليس دائماً مسموحاً به.[34]

إن الدارس للمرحلة السياسية والاجتماعية والثقافية في تونس خلال النصف الأول من القرن العشرين يستشف أن الطاهر الحداد فجر بحق قنبلة عندما أصدر كتابه "امرأتنا في الشريعة والمجتمع"التي حركت شظاياها مختلف التيارات اعتباراً من سنة ١٩٣٠، وطرحت توترا في الأوساط الفكرية، وغدت قضية المرأة حاضرة في الأذهان لكنها كانت تتأرجح بين المناصرة والرفض وكانت أصوات جبهة الرفض تبدو الأعلى لان دعاة الإصلاح من السياسيين والمثقفين كانت أمامهم أولويات أخري ضاغطة تتمثل في مقاومة الاستعمار قبل مواجهة الخصوم الرافضين لإصلاح أوضاع المرأة أو الإصلاحات الأخرى.

وكان أمام الحزب الحر الدستوري الذي برز في تونس عام ١٩٣٤ قضايا أخري مصيرية وأولها تحرير تونس من الاستعمار. لقد كان المجتمع التونسي في تلك الفترة التاريخية الحاسمة في مفترق الطرق يلتمس طريق الخلاص من الاستعمار، وكانت أيضاً الحركة النسائية تبحث عن منافذ تبرز بها وجودها وتتسلل عبرها إلي المطالبة بحقوقها، ويبدو أن المطالبة بالحق في الحرية الوطنية فرضت نفسها عليها قناعة منها بأن المستعمر يريدها أن تظل تعيش علي الأسطورة.[35]

في الحقيقة إن غاية الحداد في المجمل هي النهوض بقومه وتحريرهم من الخرافات ورفع مستوي حياتهم إلي درجة الإنسانية والحضارية اللائقة بالعصر الذي يعيشون فيه وفي إطار هذه الغاية. وبالنسبة للمرأة أكد الحداد في كتابه علي عدم وجود فوارق بين الجنسين إذ ليس من المعقول أن تسقط المرأة ويرتفع الرجل، والحداد يجد ما يسوغ هذا التأكيد في القرآن الكريم ظاهرة في خطاب الرجل والمرأة سواء في أحكامها وعامة في مقررتها، وهي تقرر لهما هذه الحقوق المدنية كما تفرض عليهما الواجبات وتسوي بينهما في العقوبات.

وعالج الحداد وضعية المرأة في المجتمع الإسلامي واهتم بتثقيف المرأة وتحريرها لتؤدي دورها في بناء المجتمع والنهوض به، كما كشف عن الوهم الذي أصاب المجتمع حين قضي علي المرأة بالجهالة لتكون معزولة عن العالم وعضو غير نافع في المجتمع. ونادي بتحرير المرأة من الأغلال التي شاء لها المجتمع أن ترسف فيها كي تكون عوناً للرجل في معركته، لا حملاً عليه، ودافعاً للتقدم لا للتدهور التي نشأت عليه وانغمست فيه.

وهكذا فقد اكتشفت الفتاة التونسية، سُبُلا جديدة لتأكيد حضورها واحتلال مكان لها في الحيّز العمومي. وبدأت التنظيمات النسائية شيئا فشيئا تحتلّ مكانها على الساحة حول الأحزاب السياسية، التي ما فتئت تُثبت حضورها وتزداد تجذراً. فلأول مرة في تاريخ تونس المعاصر، انتظمت النساء في صلب تنظيمات خاصة بهن، وبذلك يكون الإطار الجمعياتي قد أسهم في نحت شخصية الفتاة التونسية.

الهوامش

(1) جلال يحيى: المغرب العربي الحديث والمعاصر في الحرب العالمية الأولى ، الإسكندرية ١٩٨٢ ، صص ١٣-١٥ .

(2) شوقي الجم : تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ٢٨٢ .

(3) نقولا زيادة : الفكر العربي في مائة سنة ببيروت ، ١٩٦٧ ، ص١

(4) محمد الكتاني : السلفية إشكالية المفهوم والممارسة ، المغرب ١٩٨٩ ، ص ص٨٥-٨٨ .

(5) عثمان اشقرا : في سوسيولوجيا الفكر المغربي الحديث ، الدار البيضاء ١٩٩٠ ، صص ١٤٦ -١٤٨

(6) عبد القادر الشاوي : السلفية والوطنية ، بيروت ، ط ١ ١٩٨٦ ص ص ١٢٠-١٣١

(7) خير الدين باشا التونسي : أحد رموز الإصلاح بالبلاد التونسية ، ولد عام ١٨٢٠م قام بالعديد من الإصلاحات ، وقاوم الحكم الاستبدادي ، ومن أهم كتبة (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) وبه حصيلة تأملاته وأفكاره الإصلاحية والتي شملت إصلاحات في مجال التعليم والإدارة والاقتصاد وإنشاء المدرسة الصادقية ، وتطوير التعليم ، ويعتبر من أكبر رواد الإصلاح في الحركة الإصلاحية التونسية.

(8) الدور القايد : منارات على أرض قرطاج ، منارت الفجر ، تونسيات علي درب النضال ، تونس ، ٢٠٠٧ ، ص ١٨

(9) للمزيد من المعلومات عن خير الدين باشا التونسي أنظر المرجع التالي :
خير الدين التونسي : أقوم المسالك في معرفة الممالك . دراسة تحقيق منصف الشتوني ، تونس ، ١٩٧٢ .

(10) محمد السنوسي : ولد عام ١٨٥١ -١٩٠٠ ويعتبر من أهم المثقفين التونسيين وزعماء الإصلاح في تونس ، وكان تياره من أبرز التيارات الداعية إلى اليقظة والبعث في تونس ، للمزيد من المعلومات عن محمد السنوسي أنظر المرجع التالي: محمد الصادق بسيس ، محمد السنوسي حياته وأثاره ، تونس ، ١٩٧٦ .

(11) ماري ناصيف الدبس : المرأة التونسية نصف قرن من الريادة ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ٤١

(12) محمد الفاضل بن عاشور : ولد عام ١٩٠٩ وتعهده والده بالرعاية والتعليم وكان عالماً كبيراً من رواد الإصلاح والتعليم في تونس ، وشارك محمد الفاضل في حركة الإصلاح التونسية ، وتولي رئاسة الجمعية الخلدونية في تونس ، وأنشأ بها حلقات من التعليم ، كما أنشأ معهدين بالجمعية الخلدونية ، وكانت له محاضرات متصله بها ، وتوفي عام ١٩٧٠ .

(13) محمد رجب البيومي : النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ، دار العلم دمشق ، ١٩٩٩ ، ص ص٥٦-٦٦

(14) عبد العزيز الثعالبي : ولد عام ١٨٧٦ بتونس وتلقي تعليمه بجامع الزيتون ، أسس جريدة سبيل الرشاد وسافر إلى مصر والتحق بالشيخ محمد عبده ورشيد رضا ، وتأثر بدعوتهما في الإصلاح الديني والاجتماعي وكانت له مواقف رائدة في قضية المرأة التي أخذت حيزاً مهما في حياته سجلها له التاريخ ، وأسس مع رفاقه الحزب الحر الدستوري ودافع عن القضية التونسية إلى أن توفي عام ١٩٤٤ .
للمزيد من المعلومات عن عبد العزيز الثعالبي أنظر المرجع التالي أنور الجندي : عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية ، ببيروت ، ١٩٨٤ .

(15) حمادي الساحلي : عبد العزيز الثعالبي (محاضرات في التفكير الإسلامي والفلسفة ، الطبعة رقم ١ ، دار النشر الغربي الإسلامي ، ببيروت ، ١٩٩٩ ، ص ص٣٤ -٨٤ .

(16) سالم بن عمربوحاجب : ولد عام ١٨٢٨ بقرية بنبلة بتونس ، ويعتبر شيخ الإسلام المالكي ، تخرج من جامع الزيتونة وقام بالتدريس فيه ، وتخرج على يديه علماء الدين ، وكان مساعد الوزير خير الدين التونسي في تحرير كتاب " أقوم المسالك " ، وساهم في جميع الحركات ، الإصلاحية التي ظهرت في تونس ونادي بالتطوير والتجديد وأهمية تعليم المرأة والنهوض بها.
للمزيد من المعلومات عن سالم بن عمر بو حاجب من خلال انترنت www.almoajam.org

(17) الدو القايد : منارات علي أرض قرطاج ،منارات الفجر ، مرجع سابق ، ص ص ١٨-١٩.

(18) منوبية الورتاني : موظفه تونسية مسلمة ، نزعت الحجاب عن وجهها وكانت تونس تعتبر من أكثر بلاد العالم الإسلامي يلتزم نساؤها بحجاب الوجه الشرعي ، ليسترن وجوههن عن الأجانب.

(19) حبيبة المنشاري : تعتبر ثاني أمرأة تونسية مثقفة نددت بالحجاب مما أحدث رجه بين الرجال ، وتحدث بعدها المحامي الحبيب بورقيبه رئيس تونس سابقاً " إن الوقت لم يحن لرفع الحجاب " .

(20) عبد الرازق الحماقي : المرأة في مشروع الحداثة التونسية ، تونس ، موقع أفكار ، مجلة فكرية الكترونية : www.@afkaronline.org

(21) هدى شعراوي : ولدت في ٢٣ يونيو ١٨٧٩ وهي ابنة محمد سلطان باشا رئيس أول مجلس نيابي في مصر وحاكم الصعيد العام وقائمقام الخديوي سعيد في الثورة العرابية ، وتعلمت هدى شعراوي اللغة العربية والتركية والفرنسية ، وبعد وفاة والدها اتجهت إلى العمل الاجتماعي ، وعملت على إحياء الجمعيات النسائية وكان دافعها هو إحساسها العميق بعدم الرضا عن الأوضاع السائدة في المجتمع المصري بصفة عامة والمرأة المصرية بصفة خاصة وأسست جمعية الاتحاد النسائي المصري عام ١٩٢٣ وتوفيت عام ١٩٤٧ للمزيد من المعلومات عن هدى شعراوي أنظر المرجع التالي: عصام السيد عبد الحميد : رأفت غنيمي الشيخ ، كتاب تذكاري ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ص ص ٢٠٣-٢١٧

(22) بشيرة بين مراد : ولدت في تونس عام ١٩١٣ ونشأت وسط عائلة عريقة ، وعرفت بحبها للعلم والثقافة والتربية ، والدها الشيخ محمد الصالح بن مراد شيخ الإسلام في تونس ، والذي حرص على تعليمها في البيت على أيدي شيوخ جامع الزيتونة ، وحصلت على شهادة التحصيل ، وبرزت إلى جانب أختها نجيبة وعدد من نساء تونس في الأعمال الخيرية وكانت من النساء اللاتي أسسن أول جمعية نسائية تونسية عام ١٩٣٦ .

(23) ليليا العبيدي : جذور الحركة النسائية بتونس ، تونس ، ١٩٨٧ ، ص٢٩ .

(24) سمير سرحان ، أنيس منصور : المرأة عبر العصور ، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المجلد الثالث ، ص٧٥ .

(25) قاسم أمين : ولد عام ١٨٦٣ ببلدة طرة جنوبي القاهرة وهو من أصل كردي ، تلقي تعليمه الابتدائي في مدرسة رأس التين بالأ سكندريه ثم سافر إلي مصر وحصل علي الليسانس عام ١٨٨١من القاهرة وعمل بالمحاماة ثم سافر في بعثة إلي فرنسا بمدينة مونبيلييه ،وكان المترجم الخاص للإمام محمد عبده في باريس ، وهو رائد حركة تحرير المرأة ، منادياً بأن تربية النساء هو أساس كل شيء وتؤدي لإقامة المجتمع المصري الصالح ، ويعتبر من أشهر رجال الإصلاح في عصر النهضة العربية ومن أهم كتبه المصريون ،وتحرير المرأة ،والمرأة الجديدة.

(26) رفاعة الطهطاوي : (١٨٠١_١٨٧٣) تولي التدريس في الأزهر ثم سافر إلي فرنسا في بعثة تعليمية لدراسة العلوم الحديثة ، واشتهر بمعالجة قضايا مجتمعه وهو كاتب وأديب وداعية للإصلاح الاجتماعي واشتهر بدفاعه عن المرأة وحقوقها وتحريرها من الظلم الاجتماعي ، ويعتبر من أشهر رجال الإصلاح في عصر النهضة العربية وكتب ثلاثة كتب كانت بذور الدعوة الأولي لما يسمي بتحرير المرأة وهي (١) تلخيص الإبريز في تلخيص باريز (٢) مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية (٣)المرشد الأمين للبنات والبنين .

(27) الطاهر الحداد: ولد عام ١٨٩٩ في تونس العاصمة ،وتلقي تعليماً دينياً في الكتاتيب ثم التحق بجامع الزيتونة وحصل علي شهادة التطويع ، وانخرط في الحزب الدستوري ، ثم التحق بمدرسة الحقوق التونسية ومن أهم أعماله الأدبية إصدار كتاب " العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية" وإصدار كتاب " امرأتنا في الشريعة والمجتمع"

(28) أبو القاسم الشابي: ولد عام ١٩٠٩_١٩٣٤ ، في بلدة الشابية في جنوب تونس ، ودخل مدرسة دينية ثم التحق بكلية الحقوق التونسية ونال إجازتها عام ١٩٣٠ ، ومن أهم أثاره ديوان" أغاني الحياة ، وقصيدة إرادة الحياة" وتوفي عام ١٩٣٤ متأثرا بالمرض الذي لاحقه في شبابه.

(29) معلومات من شبكة المعلومات والإنترنت: ar.wikipedia.org \wikil

(30) الطاهر الحداد: امرأتنا في الشريعة والمجتمع ،تقديم محمد حافظ دياب ، القاهرة ١٩٩٩ ، ص ٥

(31) طاهر الحداد:مرجع السابق ، ص ص٢٢ ، ٢٣.

(32) المرجع نفسه ، ص ٥

(33) المرجع نفسه ، ص ص ٣٠-٣١

(34) الطاهر الحداد ، مرجع سابق ، ص ص٥-٩.

(35) ماري ناصيف الدبس: مرجع سابق ، ص ص٧٣-٧٤.